مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(10) – يونيو 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812- 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.jourals.ekb.eng

جهود العلماء المصريين في إثراء المذهب الحنبلي

أ/ عبد المحسن عبد الفتاح عبد المحسن
باحث ماجستير بقسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (10) - June 2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

جهود العلماء المصريين في إثراء المذهب الحنبلي

أ/ عبد المحسن عبد الفتاح عبد المحسن
باحث ماجستير بقسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

ملخص البحث:

إن المذهب الحنبلي قد تأخر ظهورُه بمصر، وأنه لم يكن يُمثِّل مدرسةً فقهيةً متكاملة كباقي المذاهب قبل القرن السابع الهجري، بل كان له أتباع قليلون منتسبون إليه من المصريين، ثم انتشر بها انتشارًا كبيرًا في القرن الثامن على يد جماعة، منهم: الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الحَجَّاوي (ت 769هـ) والذي تولى قضاء القُضاة بالديار المصرية، والزركشي الحنبلي (ت 772هـ)، وغيرهما.

وما زال المذهب ظاهرًا منتشرًا في مصر بعد ذلك حتى خَفَتَ ظهورُه في القرنين السابقين (الثالث عشر، والرابع عشر الهجريين).

الكلمات المفتاحية:

المذهب الحنبلي، المدرسة المصرية، الفقه الإسلامي.

Abstract

integrated Fiqh school like the rest of the doctrines before the seventh hijri century, but it had few followers affiliated with it from the Egyptians, and then it spread significantly in the eighth century by a group, including: Imam Abdullah bin Muhammad Bin Abdul Malik Bin Abdul Baqi Al-hijawi (d.769 ah), who took over the judiciary of judges in the Egyptian Home, Al-zarkshi Hanbali (d. 772 ah), and others.

The doctrine remained widespread in Egypt after that until its appearance subsided in the previous two centuries (XIII and XIV Hijri).

key words:

The Hanbali school, the Egyptian school, Islamic jurisprudence.

مقدمة:

كان للمدرسة المصرية أثر بارز في نمو المذهب الحنبلي وخدمته، ولكن هذا الأثر يتضح في طبقة المتأخرين أكثر من طبقتي المتقدمين والمتوسطين؛ وذلك أن مرحلة المتقدمين بُنيت على أكتاف العراقيين -خاصةً- من أصحاب الإمام أحمد؛ لأنهم الألصق به والأكثر ملازمة له بحُكْم انتشار مذهبه وتأسيسه في هذه البقعة.

فإذا فتشنا في المصريين عن تلامذة الإمام أحمد أو تلامذتهم الذين اعتنقوا مذهبه وقاموا بنشره فإننا لن نجد إلا آحادًا لم ينقلوا عنه شيئًا ذا بال في الفقه، وإنما اقتصرت نُقُولُهم على مسائل العقيدة وعلم الحديث.

ووجود الحنابلة في مصر في هذا الطَّور نادر، ومِن أبرز مَن وقفت عليهم في كتب التراجم والطبقات ممن دَرَج بعض الأصحاب على نسبتهم إلى الحنابلة وأَقْدَمِهم: أحمد بن صالح المصري[1]، المتوفى سنة 248هـ، ومحمد بن علي بن داود[2]، المعروف بابن أخت غزال، المتوفى سنة 264هـ.

على أننا لا نرى صحة إدراجهم في طبقات الحنابلة ولا نِسبتَهم إلى المذهب؛ لأن المذهب لم يكن قد استقر ولا تَكوَّن بعد، ولا ضُبِطَت أصول الاستنباط فيه، ولا جُمعت فروعه، فضلًا عن أن هذين الإمامين -أحمد بن صالح، ومحمد بن علي بن داود- لا يُعتبَران على التحقيق من تلامذة الإمام أحمد، ولا سيما في الفقه؛ فإنهما من طبقة أقرانه، وروايتهما عنه هي من باب رواية الأقران بعضهم عن بعض عند المحدِّثين، ثم إنهما لم ينقلا عنه مسائل في الفقه -فيما وقفت عليه-، بالإضافة إلى أن ابن أخت غزال -المذكور- بغدادي الأصل ثم استقر بمصر.

---

[1] انظر: [طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي(2/ 6) ط. هجر، الثانية، 1413هـ، ت: د/ الطناحي- د/ عبد الفتاح الحلو].

[2] انظر ترجمته في: [السِّيَر للذهبي 13/ 338، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 4/ 98، ط. دار الغرب الإسلامي- بيروت، الأولى، 2002م، ت: د/ بشار عواد معروف، طبقات الحفاظ للسيوطي ص290، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، 1983م].

ولذلك فإننا نرى أن مَن نسبهم إلى الحنابلة كابن أبي يعلى في طبقاته[3]، والبرهان ابن مفلح في المقصد الأرشد[4]، ومَن تابَعَهُمَا قد تجوَّز تجوُّزًا كبيرًا، إلا أن يكون إدراجه إياهم في طبقات الحنابلة هو لمجرد روايتهم عن الإمام أحمد أحاديثَ!

ومَن عدا هذين من المصريين في هذه الطبقة لا يَظفر الباحثُ عنهم بشيء مؤثِّر في الفقه الحنبلي!

فإذا انتقلنا إلى مرحلة المتوسطين فإننا سنجد دورًا أكبر وإثراءً أبرز، ولكن تقف أمامنا عقبة في دراسته، وهي أن أكثره إما شفوي يتمثل في التدريس والإفتاء والقضاء ولم يُجمَع أو يُدوَّن، وإما أنه مكتوب في مصنفات علمية لكنها لم تصلنا.

ولقد قمت بتتبع الحنابلة المصريين في طبقة المتوسطين حتى وقفت على أبرزهم، ونظرت فيمن ذُكر له مصنفات خدمت المذهب ووصلتنا، فلم أجد من ذلك إلا الإمام الزركشي الحنبلي شارح مختصر الخِرَقي؛ فقد وَصَلَنا شَرْحُه، وسيأتي الكلام عنه في هذا التمهيد.

وأما بقية الحنابلة المصريين من طبقة المتوسطين فإما أنهم خدموا المذهب بالتدريس والإفتاء والقضاء لا بالتصنيف، فلا توجد لهم آثار مدونة مجموعة يمكن دراستها، وإما أن لهم مصنفات ما زالت مخطوطة أو لم تصلنا بالكلية.

وسيجد الباحث في كتب التراجم والطبقات أن بعضها ينسب شخصيات إلى الحنابلة وهم ليسوا منهم، وربما تَتَابَع أكثرُ مِن مؤرخ على نفس الغلط دون تمحيص، ومَرَدُّ هذا إلى الخطأ، وربما كان هذا الخطأ ناشئًا عن سببٍ يسير كالتصحيف.

ومثال ما وقفت عليه من هذا القَبِيل ما وجدته مِن نِسبة القاضي أحمد بن

---

[3] انظر: طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى الفراء، (48/1)؛ حيث ترجم لأحمد بن صالح المصري، (1/ 307)؛ حيث ترجم لابن أخت غزال [ط. دار المعرفة- بيروت، ت: محمد حامد الفقي].

[4] المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح (1/ 115)؛ حيث ترجم لأحمد بن صالح، (2/ 467)؛ حيث ترجم لابن أخت غزال [ط. مكتبة الرشد- الرياض، الأولى، 1990م].

محمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبي العوام السعدي (ت: 418هـ) إلى المذهب الحنبلي!

وهو من أعيان القرن الخامس الهجري، أي أول قرن في طبقة المتوسطين في المذهب الحنبلي، وقد وجدت الزِّرِكْلي في الأعلام[5] ينسبه إليه، وكذلك صاحب كتاب "علماء الحنابلة"[6]، وغيرهما، لكن الذي تبيَّن لي بعد الرجوع إلى رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر أن الرجل حنفي؛ حيث قال في ترجمته مُصَرِّحًا: الفقيه الحنفي[7].

وفيما يلي بيان أبرز الفقهاء الحنابلة المصريين من طبقة المتوسطين التي تمتد ما بين القرن الخامس وحتى أواخر القرن التاسع الهجري، وأَبتدئ في هذا السرد من فقهاء القرن السادس؛ لأن الخامس لم أعثر فيه سوى بالقاضي ابن أبي العوام السعدي (ت: 418هـ) المذكور آنفًا، المنسوب خطأً في بعض كتب التراجم إلى الحنابلة، وقد بينت أنه حنفي، فلا يندرج معنا.

وهاهم فقهاءُ الحنابلةِ، المصريون البارزون في الطبقة المتوسطة، مرتبين ترتيبًا زمنيًّا:

القرن السادس الهجري:

الإمام/ محمد بن إبراهيم بن ثابت الكِيزَاني (ت: 560هـ).

ومِن غير المصريين ممن استوطنها:

الإمام/ عثمان بن مرزوق، والإمام/ عبد الغني المقدسي.

---

[5] الأعلام للزِّرِكْلي (1/ 211).

[6] علماء الحنابلة «من الإمام أحمد المتوفى سنة 241هـ إلى وَفَيَات عام 1420هـ»، تصنيف الشيخ/ بكر عبد الله أبو زيد، ص 98، ط. دار ابن الجوزي، الأولى، 1422هـ.

[7] رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، ص71، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، 1998م.

فأما الإمام/ محمد بن إبراهيم بن ثابت الكِيزَاني[8] (ت: 560هـ) المعروف بابن الكِيزَاني[9] فهو مِن سادات المُرَبِّين، له أتباع وتلامذة ينتسبون إليه ويُعرفون بطائفة الكِيزانية، وله شِعْر رقيق، وكان واعظًا مؤثِّرًا مُفَوَّهًا حتى لُقِّبَ بـ(واعظ مصر)[10].

قال عنه سِبْطُ ابنِ الجوزي: "... الواعظ، المِصري، رجل مشهور فاضل، وله أصحاب بمصر... وكان زاهدًا عابدًا، قنوعًا من الدُّنيا باليسير، فصيحًا، وله النظم والنثر، وديوانه بمصر مشهور، وممدوح مشكور، وقد وقعت عليه بمصر، فرأيته حسن العبارة، صحيح الإشارة، وفيه رقة وحلاوة، وعليه طلاوة "[11].

وقال الحافظ الذهبي: "من شيوخ المصريين الفضلاء... وكان زاهدًا ورعًا، له أصحاب ينتمون إليه"[12].

ولكن المعلومات عنه في كتب التراجم قليلة؛ فلا تظفر بتاريخ مولده، ولا بظروف نشأته، ولا بمعرفة شيوخه أو تلامذته، إلا نَزْرًا يسيرًا منهم[13]؛ فمِن أشهر

---

[8] ينظر في ترجمته: الأعلام للزِّرِكْلي (5/ 296)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (134/39)، ط. دار الكتاب العربي_ بيروت، 1993م، سير أعلام النبلاء، للذهبي (20/ 454)، وَفَيَات الأعيان لابن خَلِّكان (4/ 461)، ط. دار صادر– بيروت، ت: د/ إحسان عباس، 1971م.

[9] بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح الزاي نسبةً إلى عمل الكِيزَان وبيعها؛ لأن هذه كانت صنعة بعض أجداده. انظر: وفيات الأعيان (462/4).

[10] انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (77/4)، ط. دار الكتب العلمية، الأولى، 1998م، طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي (95/4)، ط. الرسالة– بيروت، الثانية، 1996م.

[11] مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (55/21)، سِبط ابنِ الجوزي، ط. دار الرسالة العلمية، دمشق، الأولى، 2013م.

[12] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (134/39).

[13] ومنهم من لم أجد له ترجمة أصلًا، مثل: أبي علي الحسن بن محمد بن حسن الجيلي، من شيوخه.

شيوخه: أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء[14]، ومن أشهر تلامذته: محمد بن عبد الغني بن إبراهيم الربعي الصواف[15].

وليس له كتبٌ وصلتنا، ولا جهود معروفة في المذهب الحنبلي، على الرغم من كونه إمامًا في زمانه له أتباع، ولا شك أنهم تَلَقَّوْا عنه من عِلْمِه وفقهه الكثير، ولا ريب أنه أفاض عليهم من أحكام المذهب، لكنَّ شيئًا من ذلك لم يَصِلْنا فيما وقفتُ عليه!

وقد توفي -رحمه الله- في التاسع من ربيع الأول، سنة ستين وخمسمئة[16].

وقيل: في المحرم، سنة اثنتين وستين وخمسمئة، ودفن بالقرب من قبة الإمام الشافعي -رحمه الله- بالقرافة الصغرى، ثم نُقل إلى سفح المقطَّم بقرب الحوض المعروف بأم مودود[17].

قال ابن خلكان: "وقبره مشهور يُزار، وزرته مِرارًا"[18].

وأما غير المصريين ممن استوطن مصر في هذا القرن من الحنابلة الذين وقفت عليهم فهم: الفقيه الزاهد عثمان بن مرزوق بن حُمَيْد[19] (ت: 564هـ)، والإمام المحدِّث عبد الغني المقدسي[20] (ت: 600هـ).

---

[14] ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام، للذهبي (302/11)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قُطْلُوبَـــــغَا (199/7)، ط. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن 2011م.

[15] ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي (324/13).

[16] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (134/39).

[17] وفيات الأعيان، لابن خَلِّكان (462/4).

[18] وفيات الأعيان (462/4).

[19] يُنظَر ترجَمَتُه في: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (222/2)، ط. العبيكان- الرياض، الأولى، 2005م، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (200/2)، الأعلام (214/4)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (270/6)، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

[20] يُنظَر ترجَمَتُه في: المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي (ص120)، ط. مكتبة الصديق-

فأما الشيخ عثمان بن مرزوق فقد نشأ في بغداد وتفقه بها على مذهب الإمام أحمد، ثم رحل إلى مصر وأقام بها إلى أن مات، وانتهت إليه تربية المُرِيدِين بها، ودرَّس واستفاد منه خلق كثيرون، ولم تذكر لنا كتب التراجم شيئًا عن تاريخ مولده، ولا عن نشأته العلمية، ولا عن شيوخه، إلا أنهم يذكرون أنه صَحِب شرف الإسلام بن عبد الواحد[21] بدمشق، وسمع من الشيخ عبد القادر الجيلاني[22] بعرفات.

وممن تتلمذ له: أبو الثناء محمود بن عبد الله بن مطروح المقرئ الجيلي[23]، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغمراني الحنبلي المصري[24].

وللشيخ ابن مرزوق مِن المصنفات: "صَفوة الصفوة" اختصر به حلية الأولياء، وهو غير "صِفَة الصفوة" لابن الجوزي[25]، وليس له في المذهب مصنفات.

قال ابن رجب وابن مُفلح: توفي بمصر سنة أربع وستين وخمسمئة وقد جاوز السبعين، ودُفن بالقرافة شَرْقي قبر الإمام الشافعي –رضي الله عنه–، وقبرُه ظَاهرٌ

الطائف، الأولى، 1988م، تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام (442/42)، تذكرة الحفاظ (111/4)، ط. دار الكتب العلمية، 1998م، سير أعلام النبلاء (21/ 443)، ذيل طبقات الحنابلة (1/3)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (49/1)، ط. دار ابن كثير، الأولى، 1986م.

[21] انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (20/ 103)، المقصد الأرشد (2/ 147)، الأعلام (4/ 184).

[22] انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (439/20)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (2/ 187)، الأعلام (4/ 47).

[23] ينظر في ترجمته: تاريخ الإسلام للذهبي (42/ 171).

[24] لم أقف في ترجمته إلا على ما ذكره عنه ابن رجب: أنه كان رجلًا صالحًا، كثير الذكر والتسبيح. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (223/2).

[25] الأعلام (214/4)، ولم أقف على الكتاب المذكور –صَفوة الصفوة–.

يُزار[26].

وأما الإمام عبد الغني المقدسي (ت: 600هـ) فهو الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الجَمَّاعيلي[27]، إمام زمانه في الحديث، وصاحب كتاب عمدة الأحكام، ولد سنة 544هـ[28]، وتلقى عن علماء عصره حتى تفوَّق على أقرانه وأصبح حافظ زمانه، وممن أخذ عنهم: الحافظ ابن المَنِّي[29]، وشيخ العربية ابن بَرِّي[30]، وقرأ على الشيخ عبد القادر الجيلاني[31] شيئًا من الحديث والفقه، وأقام عنده نحو أربعين يومًا.

وأما تلامذته فكثيرون، وطُلابه الذين سمعوا منه لا يُحْصَوْن، وممن حَدَّثَ عنه: الموفق ابن قدامة، والضياء المقدسي، والفقيه محمد اليونيني، وغيرهم كثيرون.

وله عدة تصانيف، جُلُّها في الحديث والفضائل، ومنها: عمدة الأحكام، الكمال في أسماء الرجال، فضائل الحج، فضل رمضان، فضل عشر ذي الحجة، فضل الصدقة.

وتوفي رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة 600هـ.

والمطلع على سيرته يدرك أن جهوده كانت في علم الحديث، وأما الفقه فقد

---

[26] ذيل طبقات الحنابلة (2/ 230)، المقصد الأرشد (2/ 201).

[27] نسبة إلى جَمَّاعيل، بفتح الجيم وتشديد الميم المفتوحة، قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي(2/ 159)، ط. دار صادر– بيروت، الثانية، 1995م.

[28] ذيل طبقات الحنابلة (3/3).

[29] ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان (294/3)، الوافي بالوفيات، للصَّفَدِي (51/27)، ط. دار إحياء التراث، 2000م.

[30] ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (21/ 136)، توضيح المشتبه (443/1).

[31] انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (439/20)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (2/ 187)، الأعلام (4/ 47).

اتجه إليه ابن خالته الموفق ابن قدامة[32] الذي رافقه في بداية الطلب، والذي انتهت إليه إمامة المذهب، كما انتهت للحافظ تقي الدين[33] إمامة الحديث.

فلا نجد للشيخ عبد الغني المقدسي مصنفات فقهية، ولا نعرف له آثارًا في المذهب خَدَمَتْه من الناحية الفقهية.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ما قاله الإمام السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"[34] عند ذِكْر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة: "وأول إمام من الحنابلة علمت حلوله بمصر، الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب العمدة!".

وهي عبارة يتضح لنا عدم واقِعِيَّتها من خلال مَن سَبَق ذِكرُه في هذا التمهيد من الحنابلة المصريين الذين سبقوا الإمام عبد الغني المقدسي، سواء من المصريين الخُلَّص كابن الكِيزاني، أم من الوافدين عليها المقيمين بها كابن مرزوق، وقد كان لهؤلاء المذكورين أتباع وتلاميذ، ولا ريب في تَفَقُّهِ بعضهم بالمذهب وانتشار أحكامه بينهم، إلا أن يكون مُرادُ الإمام السيوطي -رحمه الله- في عبارته كبارَ الفقهاء الحنابلة المشهورين.

القرن السابع الهجري:

1- عبد المحسن بن عبد الكريم بن ظافر الحِصْنِي الحُصْرِي (ت: 625هـ).

2- مكي بن عمر بن نعمة بن يوسف الرؤبي (ت: 634هـ).

وأما غير المصريين ممن رحلوا إليها في هذا القرن، فأَشْهَرُهُم: محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت: 676هـ).

---

[32] ينظر في ترجمته: فوات الوفيات (158/2) لابن شاكر الكتبي، ط. دار صادر- بيروت، 1974م، سير أعلام النبلاء (165/22)، ذيل طبقات الحنابلة (281/3).

[33] أعني صاحب الترجمة الإمام عبد الغني المقدسي.

[34] حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي (1/ 480)، ط. دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، مصر، الأولى، 1967م.

ونلحظ في هذا القرن أن المذهب –في مصر– قد بدأ في الظهور والانتشار بعد القلة والانحسار التي اعْتَرَتْه قبل ذلك، وأصبحت هناك زيادةٌ نِسْبيةٌ في عدد المُنْتَمِين إلى المذهب، ولعل مِن عوامل ذلك: سقوطَ الدولة الفاطمية في أواخر القرن السادس الهجري بعد أن كانت مسيطرة على مقاليد الحُكم في مصر في القرن الرابع والخامس وحقبة كبيرة من القرن السادس الهجري!

حيث إن الفاطميين قد تبنَّوْا المذهب الشيعي، وعملوا على إقصاء مذاهب أهل السنة، فانحسر ظهور المذاهب الأربعة –وإن كان لم يندثر–، فلما سقطت الدولة الفاطمية بدأت مذاهب أهل السنة في الظهور مرة أخرى، ومن بينها المذهب الحنبلي، الذي بدأ ينتشر أكثرَ مِن ذي قَبْل.

قال الحافظ السيوطي تحت عنوان: "ذِكْر مَن كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة":

"هم بالديار المصرية قليل جدًّا، ولم أسمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع وما بعده؛ وذلك أن الإمام أحمد –رضي الله عنه– كان في القرن الثالث، ولم يَبْرُز مذهبُه خارج العراق إلا في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملكت العُبَيْدِيُّون مصر، وأَفْنَوْا مَن كان بها مِن أئمة المذاهب الثلاثة، قتلًا ونفيًا وتشريدًا، وأقاموا مذهب الرَّفْض والشيعة، ولم يزالوا منها إلى أواخر القرن السادس، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب"[35].

ومع ذلك لم نجد للعلماء المصريين الحنابلة في هذا القرن إسهاماتٍ مؤثِّرةً في المذهب بدرجة كبيرة، بل كان المذهب في مصر حتى ذلك الوقت يحتاج إلى جُهْدٍ أكبر ليُصبح مدرسةً مكتملةً تُضاهِي المَدارس الفقهية التي مَثَّلت المذاهب الأخرى في ذلك الزمان في ربوع الديار المصرية.

وبالنظر في سِيَر العلماء الآنِف ذِكْرُهم في ذلك القرن يتضح لنا صحة هذا

---

[35] حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/ 480).

التحليل:

فالشيخ عبد المحسن بن عبد الكريم الحصْني[36] الذي تفقه بالشيخ المُوَفَّق ابنِ قُدَامَةَ شيخِ الحنابلة، وأخذ عن علماء عصره من الحُفَّاظ والفقهاء في مصر وغيرها، لم يترك لنا مصنفات فقهية، ولم يؤثر عنه جهد في إثراء المذهب الحنبلي، وتَرَكَّزَت جهوده في التحديث.

وأما الشيخ مكي بن عمر بن نعمة الرؤيي[37] المولود بمصر في رمضان سنة 548هـ، فقد أسهم بجهد في خدمة المذهب وصَنَّف فيه، ولكن مصنفاته لم تصلنا! قال فيه الحافظ الذهبي: "أحد العالِمين بمذهب الإمام أحمد...وله مجاميع في الفقه، وغيره، وتَخَرَّج به جماعة"[38]. ونقل ابن العِماد الحنبلي عن الحافظ المنذري قوله: " اشتهر بمعرفة الفقه، وجمع مجاميع الفقه وغيره"[39].

فيظهر من خلال ترجمته أن له جهودًا ويدًا بيضاء في المذهب، وأنه كان فقيهًا متمكنًا، وله مصنفات على مذهب الإمام أحمد، ولكن هذه الجهود لم تصلنا، ولم ينضم إليها جهود أخرى لمعاصريه تتبلور من خلالها مدرسةٌ متكاملة في هذا القرن.

وأما من استوطن مصر من الحنابلة في القرن السادس الهجري فأشْهَرُهم: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي[40]، شيخ الحنابلة بمصر، وقاضي

---

[36] انظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة (365/3)، المقصد الأرشد (159/2)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (207/7).

[37] ينظر ترجمته كاملة في: تاريخ الإسلام (222/46)، شذرات الذهب (296/7)، ذيل طبقات الحنابلة (459/3)، المقصد الأرشد (40/3). فائدة: قال الذهبي: الرؤيي نسبة إلى جده"رؤبة". [تاريخ الإسلام (46/ 222)، بتصرف يسير].

[38] ينظر: تاريخ الإسلام (222/46).

[39] ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (296/7).

[40] تُنظر ترجمته كاملة في: تاريخ الإسلام (240/50)، شذرات الذهب (616/7)، رفع الإصر عن قضاة مصر (ص341).

قُضاتهم بها، وقد أثنى عليه كثير من جهابذة العلماء بما يدل على علمه ومكانته، ومن ذلك قول ابن العماد: "وكان كامل الآداب، سيّدًا، صدرًا من صدور الإسلام، متبحّرًا في العلوم، مع الزُّهد الخارج عن الحدّ، واحتقار الدّنيا، وعدم الالتفات إليها"[41].

وقول الذهبي: "... له مشاركة في عدة فنون... وكان كثير البر والإيثار للفقهاء، حسن التواضع، كبير القَدْر"[42]. وقد أفاض الذهبي في الحديث عن مناقبه، وبَيَّن أنه صار رأسًا في المذهب، وشيخًا للخانقاه السعيدية.

كما ذكر ابن رجب أنه تولى التدريس بالمدرسة الصّالحية، وأنه أول من دَرَّس بها للحنابلة، وأول من ولي قضاء القُضَاةِ منهم بالديار المصرية[43].

وقد لزم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي بيته في آخر عمره يُدَرِّس ويُفْتِي ويَروي الحديث إلى أن توفي سنة 676هـ بالقاهرة، رحمه الله رحمة واسعة.

فمما سبق يتبين أن الشيخ – ﷺ – قام بجهد عظيم في خدمة المذهب مدة الثلاثين سنة – تقريبًا – التي قضاها بالديار المصرية، تدريسًا ونشرًا وإفتاءً وقضاءً، إلا أنه لم يترك تصانيف علمية، ولم يُدَوِّنْ أحدٌ فتاواه وأَقْضِيَتَه، واقتصرت آثارُه على أبناء عصره!

القرن الثامن الهجري:

الإمام الزركشي الحنبلي (ت: 772هـ)

ومِن الوافدين على مصر:

- الإمام موفَّق الدين الحَجَّاوي قاضي القضاة بالديار المصرية.
- الإمام الحسن بن محمد بن صالح النابلسي المعروف بابن المجاور.

---

[41] شذرات الذهب (617/7).

[42] تاريخ الإسلام (240/50) باختصار.

[43] ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (144/4).

في هذا القرن برز أحد أعلام المذهب المؤثرين فيه، وهو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي الحنبلي[44]، وكان من أعيان الحنابلة، وإمامًا في المذهب.

وكما أن الزركشي الشافعي[45] كان من أعلام مذهبه، فكذلك الزركشي الحنبلي كان من أعلام المذهب، ورغم شهرته وجُهُودِه إلا أن أخباره في كتب التراجم قليلة، بل لم تسجل لنا كتب التراجم شيئًا عن تاريخ ولادته، ولم تحدثنا عن نشأته العلمية، ولم تذكر من شيوخه إلا المُوَفَّق الحَجَّاوي[46].

ولم تذكر لنا خبرًا عن تلاميذه، وكل هذا لا يتناسب مع شهرته ومكانته، وهو أمر عجيب[47]! قال عنه ابن العماد: "الشيخ الإمام العلّامة، كان إمامًا في المذهب"[48]،

---

[44] ينظر ترجمته كاملة في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (384/8)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران، ص 419، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، الثانية 1401هـ، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد، ط مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى 1996م، معجم المؤلفين (239/10).

[45] انظر ترجمته كاملة في: [طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (167/3)، ط. عالم الكتب- بيروت، 1407هـ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (133/5)، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية 1972م، إنباء الغُمْر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني (1/ 446)، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1969م، الأعلام للزركلي (6/ 60)].

[46] ينظر في ترجمته: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (58/2)

[47] علَّل ذلك محقق كتاب السحب الوابلة بقوله: "ولعلّ لشهرة ابنه أثرًا في ذلك -خاصة عند أهل عصره- جعلت سمعته تطغى على سمعة أبيه، فلم تسجَّل له ترجمة آنذاك، وإذا لم يعرّف به أهل عصره يصعب على من بعدهم تتبّع أخباره، والإلمام بمناقبه وآثاره، فيبقي مجهولًا لدى الأجيال اللاحقة، وهذا شأن كثير من العلماء! ". [انظر: هامش كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (3/ 966)].

[48] ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (384/8).

وقال ابن تَغْرِي بَرْدِي: "وكان من أعيان الفقهاء الحنابلة"[49]. وقد توفي ﷺ سنة 772هـ[50] ودُفِن بالقرافة الصُّغرى.

ومن أبرز جهوده في خدمة المذهب: شرحه لمختصر الخِرَقِي.

يقول ابن العماد: "له تصانيف مفيدة، أشهرها: "شرح الخرقي" لم يُسْبَق إلى مثله[51]، وكلامه فيه يدلّ على فقه نفسي وتصرف في كلام الأصحاب"[52].

ومن المعلوم أن الإمام ابن قدامة قد سبقه إلى شرح الخِرَقي في كتابه الموسوعي الشهير: المغني. وقد أفاض ابن قدامة وتَوَسَّع وأَغْنَى عن غيره، ومع هذا نجد لشرح الزركشي ميزات مهمة؛ فقد تميز بـ : "التنظيم، والدقة، وتقريب المعلومات للقارئ، وحُسْنِ سَبْكِ المعلومات... وقد بذل فيه مؤلفه جهدًا كبيرًا"[53].

كما تبرز أهميته في: "حِفْظ المؤلف لنصوص كثيرة فُقِدت أصولُها".

وقد سار الزركشي في شرحه على منهجٍ واضحٍ دقيقٍ نافعٍ؛ حيث يقوم بشرح عبارة المتن، وإيضاح مدلولها، مؤيِّدًا ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الواردة في الموضوع مع بيان مُخَرِّجِها، وإن وجد قولًا للصحابي، أو كان ثَمَّةَ إجماعٌ يذكره.

ويُعْنَى بالروايات الواردة من الإمام أحمد – ﷺ – في ذلك، مع ترجيح رواية على أخرى، أو بيان أنها الأشهر، أو الأصح، أو هي المختارة عند الأصحاب غالبًا،

---

[49] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (117/11).

[50] لم أقف على مَن خالَف في تاريخ وفاته إلا ابن بدران في المدخل، فقد ذكر أنه توفي سنة 774هـ.

[51] مقولة ابن العماد هنا غير دقيقة؛ فقد سبق المُوفَّقُ ابنُ قدامة بشرحه الواسع الكبير المشهور "المغني" وهو شرحٌ على مختصر الخرقي، وهو أعلى كعبًا من الزركشي بلا ريب، وكلامنا هذا لا يحط من قدر الزَّركشي ولا يقلّل من قيمة شرحه، وإنما يضع الأمور في نصابها.

[52] ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (384/8).

[53] المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ص332، ط. أضواء السلف، الرياض 2001م.

مع استخلاص المسائل ذات العلاقة بالموضوع، ثم يُنَبِّه بعد ذلك إلى الألفاظ اللغوية الغريبة الواردة في المتن المشروح، أو في الأحاديث التي ذكرها، وإن كان ثَمَّةَ قضيةٌ تحتاج إلى بيان فإنه يتناولها، ويُزِيل ما قد يعتريها من إشكال أو غموض[54].

وقال ابن بدران: "وله شرح آخر على الخِرَقي أيضًا مختصر، وصل فيه إلى أثناء باب الأضاحي، وله غير ذلك مما لم يكمل"[55].

فيتضح لنا أنّ للشيخ مؤلفاتٍ أخرى وجهودًا مُؤثِّرة في المذهب، بالإضافة إلى تدريسه ونشره للمذهب، ولكن للأسف لم يصلنا مِن كُتُبه إلا شرحه على مختصر الخرقي[56].

ومع ما سبق بيانُه مِن تَمَيُّز في هذا الشرح إلا أنَّ شرْح المُوَفَّق بنِ قدامة "المغني" قد أغنى عنه، وغَطَّى عليه بشهرته، ومع ذلك فشرْحُ الزركشي على الخِرَقي لَبِنَةٌ في بناء المذهب الحنبلي، وعامِلٌ من عوامل نموه في عصره، وبعد عصره.

ولا نستطيع أن نُغْفِلَ ما اتسم به مِن تَوَسُّطٍ يُناسِب المتدرِّج في تَعَلُّم المذهب، فلا هو بالطويل المُسهِب، ولا بالقصير الموجِز، وإنما كان بَيْنَ بَيْنَ!

ومن نزل مصر في هذا القرن وكان سببًا في انتشار المذهب ونُمُوِّه بها:

الإمام موفَّق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك الحَجَّاوي المقدسي، قاضي القضاة بالديار المصرية، شيخ الزركشي الحنبلي السابق ترجمته، وقد ولد سنة 691هـ، وسمع الحديث من أبي الحسن بن الصواف وطَبَقَتِه، وحَدَّث، وسمع منه الحافظ العراقي والإمام الهيثمي، وكان محمود السيرة في القضاء، وله يد طولى في المذهب، وانتشر في عصره بمصر، وتوفي سنة 769هـ[57].

قال ابن مفلح: "وانتشر في إِمَامَته مَذْهَبُ أحمد بالديار المصرية وَكَثُر فُقَهَاءُ

---

[54] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[55] المدخل، ص419.

[56] وقد طبعته دار العبيكان ونشرته سنة 1993م في سبعة أجزاء.

[57] ينظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (58/2).

الحنابلة بها"[58]. ولم أقف له على مصنفات.

كما استوطن مصر أيضًا: الإمام/ الحسن بن محمد بن صالح النابلسي المعروف بابن المجاور[59]، وقد تولى الإفتاء والتدريس بالديار المصرية، وساهم في نشر المذهب بها، وصَنَّف بعض الأجزاء الحديثية، كما وَضَع كتاب(حجة المعقول والمنقول في شرح الرّوضة في علم الأصول) [60] شرح فيه "روضة الناظر وجَنَّة الـمَـنَاظر" للإمام الطوفي الحنبلي، وهو من أجَلِّ الكتب الأصولية الحنبلية، إلا أن شرح ابن المجاور عليه لم يصلنا!

القرن التاسع الهجري:

الإمام/ علي بن محمد بن محمد المتبولي القاهري المعروف بابن الرزاز (ت: 861هـ).

ومِن غير المصريين ممن نزلها: الإمام/ محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي (ت: 844هـ).

وفي هذا القرن –وهو الحلقة التي تربط بين طبقة المتوسطين والمتأخرين في المذهب– نجد من المصريين الخُلَّص الإمام ابن الرزاز[61] وقد تلخصت جهوده في تدريس المذهب بالمدارس المصرية، والإفتاء والقضاء على مذهب الحنابلة، فخَدَم

---

[58] المرجع السابق، (2/ 59–60).

[59] ينظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (231/1)، ط. مكتبة ابن تيمية، شذرات الذهب (382/8)، الدرر الكامنة (143/2)، الأعلام (216/2).

[60] ينظر: الأعلام للزركلي (216/2)، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المِبْرَد الحنبلي (25/1)، ط. العبيكان 2000م، كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب، لابن حمدان، ص79، ط. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض 2005م..

[61] انظر ترجمته في: شذرات الذهب (443/9)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي (15/6)، ط. دار مكتبة الحياة– بيروت، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (770/2)، تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، (1370/3).

المذهب وساهم في نشره، ولكنه لم يترك لنا مؤلفات في المذهب، ولم تظفر أقضيته وفتاواه بجَمْعٍ وتدوين، فاقتصر أَثَرُه على أبناء عصرِه.

ونَزل مصر في هذا القرن الإمام المُحِب بن نصر الله البغدادي[62]، وهو شيخُ ابنِ الرزاز –الآنِفِ ذِكْرُه– وقد أسهم المحب بن نصر الله بجهود كبيرة أَثْرَت المذهب وساهمت في نموه، وتنوعت إسهاماته بين التدريس والإفتاء والقضاء والتصنيف، إلا أن هذه الإسهامات قد اقتصرت على عصره كما هي الحال الغالبة على الحنابلة المصريين في هذه الطبقة، فلم يصلنا من تصانيفه شيء سوى حاشيته على "التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزركشي الشافعي" في الحديث!

وبعد هذا العرض تتضح ضرورة الاقتصار على المدرسة المصرية في طبقة المتأخرين في هذا البحث؛ نظرًا لعدم وجود آثار للمتقدمين والمتوسطين من الحنابلة المصريين تصلح للدراسة، ولذلك اقتَصَرْتُ على طبقة متأخري المذهب ببيان جهودها، واختيار نماذج منها للدراسة التحليلية، وهو ما أشرع في تناوله في مباحث هذا الفصل تِباعًا.

قائمة المصادر والمراجع:

- إنباء الغُمْر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1969م
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، ط. دار الكتاب العربي_ بيروت، 1993م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط. دار الغرب الإسلامي– بيروت، الأولى، 2002م، ت: د/ بشار عواد معروف
- تذكرة الحفاظ، ط. دار الكتب العلمية، 1998م
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط. دار الكتب العلمية، الأولى، 1998م.

---

[62] انظر ترجمته في: [إنباء الغُمْر (164/4)، شذرات الذهب (9/ 364)، الضوء اللامع (2/ 233)].

- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قُطْلُوبَـــــغَا، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن 2011م
- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المِبْرَد الحنبلي، ط. العبيكان 2000م
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، ط. دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، مصر، الأولى، 1967م
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية 1972م
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ط. العبيكان- الرياض، الأولى، 2005م
- رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، 1998م
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى 1996م
- سير أعلام النبلاء للذهبي ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، الثالثة 1985م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. دار ابن كثير، الأولى، 1986م
- طبقات الحفاظ للسيوطي، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى، 1983م.
- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى الفراء، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة- بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط. دار هجر، الثانية 1413هـ، ت: د/ محمود الطناحي، د/ عبد الفتاح الحلو.
- طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي، ط. الرسالة- بيروت، الثانية، 1996م
- علماء الحنابلة «من الإمام أحمد المتوفى سنة 241هـ إلى وَفَيَات عام 1420هـ»، تصنيف الشيخ/ بكر عبد الله أبو زيد، ط. دار ابن الجوزي، الأولى، 1422هـ
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ط. مكتبة ابن تيمية
- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، ط. دار صادر- بيروت، 1974م

- كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب، لابن حمدان، ص79، ط. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض 2005م.
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران، ص 419، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، الثانية 1401هـ.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سِبط ابنِ الجوزي، ط. دار الرسالة العلمية، دمشق، الأولى، 2013م
- المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، ط. مكتبة الصديق- الطائف، الأولى، 1988م
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح، ط. مكتبة الرشد- الرياض، الأولى، 1990م
- الوافي بالوفيات، للصَّفَدِي، ط. دار إحياء التراث، 2000م
- وَفَيَات الأعيان لابن خَلِّكان، ط. دار صادر- بيروت، ت: د/ إحسان عباس، 1971م.

المواقع الإلكترونية:

- http://gotoayman.blogspot.com/2021/09/blog-post_8.html?m1
- https://www.alukah.net/sharia
- https://www.islamweb.net/ar/fatwa
- https://journals.ekb.eg/article_41199.html
- https://www.alukah.net/books/files/book_13688/bookfile/hanbale_alukahnet.pdf
- https://www.mara.gov.om/nadwa/data/pages/29.pdf
- https://taqrib.ir/ar/article/pdf/1631